ربيع ... وربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قال لى صاحبى غداة رآنى ... باكيا ، والربيع فوق الروابى
كيف تبكى وفى الوجود ربيع
شارف الكون من وراء السحاب ؟ !
وسرى فيه بهجة وغناء ... وشباباً يقم روح الشباب
هو فى الزهر رقة وعبير ... وخرير فى الجدول المنساب
وهو فى الأفق بسمة وصفاء ... وانطلاق من أسر كل حجاب
وهو فى قلب كل عذراء حُلْمٌ ... بحياة فى جنة الأحباب

أنت يا صاح بلبل ، فترنم ... فى الروابى ، أو فى رحاب الفضاء
واقطف الزهر ، وانسم العطر ، واسكر
من رحيق الندى ، وخمر الضياء
زهرة فى الربيع — لو كنت تدرى —
هى خير من عالم فى الشتاء
قطرة الماء فى الربيع تراها ... بهجة النفس ، وهى قطرة ماء !
لمعة النور فى الربيع لها فى النفس رَجْعٌ كأعذب الأصداء !
ساحر ذلك الربيع الفدّى ... مبدع للحياة والأحياء !

أنت فى رونق الشباب ، فلا تبـ ... ـك ، فإن الشباب روح الحياة
وإذا لم يكن من الدمع بُدٌّ ... فتنظّرْ عهدَ المنى الضائعات
حين يأتى المشيب وهو خريف ... تدرك النفس فيه سر الممات
سوف تبكى عند المشيب كما تبـ ... ـكى ، إلى عالم الرؤى والخيال
أو كروح قد أخطأت عالم النو ... ر ، فهامت فى عالم الظلمات
لذة العمر فى الشباب ، فبادر ... لذة العمر قبل يوم الفوات !

ليت شعرى : ما سر هذا البكاء ... والمنانى تشوى بجمر الشقاء ؟
فالربيع الجميل لحن جميل ... عزفته ملائك فى السماء
والصباح الوضىء لحن مضىء ... تتراءى ظلاله فى السماء !
كل ما فى الحياة يعزف لحناً ... من بهاء ورقة وصفاء
كل ما فى الحياة ينثر فى النفـ ... ـس أريج المنى ، وعطر الرجاء
أنت تبكى ، وكل شىء يغنى ! ... ليت شعرى : ما سر هذا البكاء ؟

قلت : يا صاحبى بكيت لأنى ... لم أجد فى الحياة أسباب أنسى !
الربيع الذى تراه ، بعيد ... عن شعورى وعن ضميرى وحسى
والربيع الذى أريد ، بعيد ... عن حياتى كأنه حلم أمسى
أنت لا تنظر الوجود بعينى ... لا — ولا تدرك الحياة بنفسى
رب شمس تشع فى الكون نوراً ... حجبتها عنى سحاب يأسى !
وربيع يسقى الرحيق المصفّى ... ما سقانى إلا مرارة كأسى !

لا تحدث عن الربيع ، فإنى ... قد عرفت الربيع روحاً ومعنى
أنت لا تعرف الربيع إذا كنت ... تراه زهراً ونهراً وغصنا
ليس روح الربيع ما تجد النفـ ... ـسُ ، ولكنه الذى تتمنى
هو عند العشاق ليلة حب ... طار فيها طير الهوى وتغنى
وراء المغزّعون الحيارى ... فى صحارى الحياة ، هدْياً وأمنا
خير ما فى الحياة أن تتمنى ... فَطِرِ القلب دائماً أن يمنّا

إن تمنيتَ أن تعيش وحيداً ... فى الصحارى ، أو فى أعالى الجبال
فهناك الربيع — تبصره النفـ ... ـس إذا حلقت وراء الأعالى
وهناك الربيع — فى هدأة اللي ... ل ، وهمس الربا ، وصمت الرمال
وانطلاق الحياة من عالم الحـ ... ـس ، إلى عالم الرؤى والخيال
واهتزاز الوجدان إذ يتلقى ... من جمال الحياة سرّ الجمال
خالد ذلك الربيع المرجّى ... وربيع الأنام مِلك الزوال

وإذا شئت أن تعيش مع النا ... س ، وتلقى الربيع زهراً وعطرا
فاقطف الزهر ، وانسم العطر منه ... واملأ الكأس من ندى الفجر خمرا
غير أنّ الزهر الجميل سيفنى ... ثم يغدو فى باطن الأرض سرا !
وتجف الأوراق فى كل غصن ... فترى الغصن ذاهلاً مصفرا !
هذه سُنّةُ الحياة ، فلا تحـ ... ـزن إذا أقبل الربيع وسرّا
كل ما ليس بالمباح سيمضى ... ثم يأتى ، وهكذا مستمرا

لا تلمنى إذا أضمت ربيعى ... فربيعى مكفن بالدموع !
ما غناء الربيع إن لم يثر قلـ ... ـبى وروحى ، ولم يهز ضلوعى ؟